سيباستيان كاستيليون، ضد شعار كالفن، مكتوب في 1554، ومنشور في 1612 (3 مقاطع)

إن الحدث الذي اطلق هذا الجدل الادبي هو إعدام ميشال سيرفيه في جنيف في تشرين الأول 1553. وقد اتُهم سيرفيه بأنه نكر الثالوث الأقدس، ورفض سرّ العماد للأطفال الحديثي الولادة. ومن أجل تبرير إعدام سيرفيه، نشر جان كالفن نصًا شديد القوسة. فردّ عليه كاستيليون في هذه الصفحات، الذين لم يتم نشرهم إلا بعد نصف قرن على كتابتهم:

- في المقطع الأول يذكر – بشكل حرّ – نصًا لمارتن لوثر من العام 1525: لأن الله لا يفرض الحقيقة من خلال القوة، فإننا لا يجب أن نفعل نحن ذلك. يشير هذا النص إلى مثل البذرة الصالح والبذرة السيئة (العهد الجديد، متى 13، 24-30).
- في المقطع الثاني والذي هو الجزء الأشهر من الكتاب. هنا يؤكد كاستيليون الحق الشرعي الذي تمتلكه الدولة في التدخل ضد المذنبين، ولكنه يدير كل فعل قهري، والتي أسوأها عقوبة الموت، ضد أحد لم يقم إلا بالتعبير عن رأيه الديني. إن الكتابات، كما يقول، لا يجب أن تواجه إلا بكتابات اخرى.
- في المقطع الثالث يظهر كاستيليون جاهزًا ان يعطي للحقيقة طابعًا ذاتيًا: إن الرجل الذي يقول صدقًا ما يفكّر به، حتى ولو كان خاطئًا، هو موجود داخل الحقيق. في القرن السادس عشر، القليل من المفكرين كانوا على استعداد لتقبل هذه الطريقة برؤية الامور.

يمكن أن رنى إلى أي درجة تصرفنا بشكل سيء، نحن الذين أردنا ان نقود الأتراك إلى الإيمان من خلال الحرب، والهراطقة من خلال النار، واليهود من خلال تهديدهم بالموت، وبأشكال أخرى من المظالم. نحن الذين اردنا ان نستحوذ على الزؤان بقوانا الذاتية، وكأنه لدينا القدرة أن نتحكم بالقلوب وبالنفوس، وكأننا نمتلك في أيدينا القدرة على قيادة كل الناس إلى العدالة والتوقى. غن الذي لا يقوم به الله الواحد، هو امر لا يجب ان نفعله نحن" (ص 91)

قتل رجل لا يعني اننا ندافع عن عقيدة، إنها عملية قتل رجل. حين قام أهل جنيف بقتل سيرفيه، لم يكونوا يدافعون عن عقيدة، بل كانوا يقومون بقتل رجل. إن الدفاع عن عقيدة ليست مهمة السلطة (ماذا يمكن للسيف أن يفعل إلى جانب العقيدة؟)، إنها مهمة اللاهوتيين. إن مهمة السلطة هي في الدفاع عن اللاهوتي كما هي في الدفاع عن الفلاح، والفنان، والطبيب، واي كان ضد المظالم. لهذا، إذا كان سيرفيه يريد قتل كالفن، لكان على السلطة أن تقوم بالدفاع عن كالفن. لكن كالفن كان يقاتل من خلال الحجج والكتابات، كان يجب محاربته أيضًا من خلال الحجج والكتابات. (ص 161)

لنرى، يا كالفن، هل إنك تنزل عقوبة بالموت بسيرفيه، لأنه يفكّر كذلك، أو لنه تكلم كذلك؟ إذا كنت تقلته لأنه يتكلم كما يفكّر، فانت تقتله لأنه قال الحقيقة: أن نقول ما نفكر به، هذه هي الحقيقة، حتى ولو كنا على خطأ. إن المزمور 15 يعلن الطوبى لكل من يقول الحقيقة أي ان يقول ما في نفسه. وانت تقتل رجلًا كهذا؟ (ص 1665)

المصدر: سيباستيان كاستيليون، ضد شعار كالفن، كتب في 1544، نشر في 1612، الترجمة من اللاتينية إلى الفرنسية: إيتيان باريلييه، (جنيف)، زوي، 1998.